

# علم الجمال عند الوجوديين

بقلم محمد عبد المنعم مجاهد

مما لا شك فيه ان الوجودية فلسفة ترفض القيم ، ومما لا شك فيه ايضا انها - او عند بعض اتباعها - تحاول ان تقيد من حرية الفرد نوعا ما حتى لا تكون حريته مدمرة أشبه بالفوضى لا بالتنظيم الذي يفيد الفرد .. والحقيقة ان الوجودية هي فلسفة هذا التناقض : انها نتاج سنوات الحرب التي دمرت الشباب ، والذين عادوا يائسين غير مؤمنين بأية قيمة سابقة لان القيم السابقة اوصلتهم الى ما هم عليه .. ومن ثم فلنكن حرية الفرد هي أساس كل شيء .. ولنكن هذه الحرية كما عبر عنها سارتر « ان حريتي هي الاساس المتفرد للقيم . ولما كنت الكائن الذي توجد به القيم ، فلا شيء - لا شيء مطلقا يمكن ان يبرر لي اختيار هذه القيمة او تلك او مجموعة من القيم » .. ومن هنا قلب الوجوديون المفاهيم الفلسفية المتعارفة ، فهم قد يسلّمون بان الأشياء قبل ان توجد ، تكون ماهياتها قد سبقت من قبل اما في ذهن الله ، او في عالم المثل .. لكن بالنسبة للانسان فالامر عندهم مختلف ، فالانسان يوجد أو لا ثم يكون ثانية .. أي ان وجوده يسبق ماهيته .. ليس الانسان حامل الماهية من قبل وانه مخلوق بهذا الجوهر قبليا ، ولكنه يصير الى الماهية التي يريد ، والتي يصنعها بنفسه .. وعندما يموت المرء ، وتنفلق جميع المشاريع التي يريد ان يحققها ، يمكن ان نتحدث عن ماهية لهذا الفرد .. وطالما الانسان يحيا فلا شأن بالتحدث عن ماهية .. اذن « فما يشترك فيه الوجوديون هو بكل بساطة أنهم يؤمنون بان الوجود يسبق الماهية أو اذا شئت اننا يجب ان نبدأ مما هو ذاتي » .

فما هي النتائج التي يمكن ان تستتبع من هذا التصور للانسان ؟ مما لا شك فيه ان هذه الفلسفة ترفض المجتمع والتاريخ والعلم والقيم .. ترفض المجتمع لانها تصور المجتمع عبارة عن مجموعة من الآلات لا روابط بينها .. لماذا ؟ « لانما الذات الحقة هي تلك المتفردة ..

هل يمكن للوجودية ان تضع دراسة شاملة عن علم الجمال على أساس من فلسفتها العامة ؟ وهل نحن واجدون مثل هذه المحاولة ؟ ألا يكون من التناقض ظهور مثل هذه الدراسة العمارة Normative مع الوجودية باعتبارها فلسفة فردية لا تقيم قواعد ، وتشور ضد القوانين ، حتى تبقى على حرية الفرد التي تنادي بها ؟ وهل يمكن لهذه الفلسفة التي نادى بان جوهر الفرد انما هو الحرية ان تناقض نفسها فتخطط نظرية جمالية لها قواعد لها هذا الانسان الذي تريد ان تطلق جناحيه ؟ الواقع أننا لا نجد أي مؤلف فلسفي وجودي يحتوي على دراسة شاملة لنظرية جمالية ، وما زلنا في انتظار الدراسة الجمالية التي يبعدها جان بول سارتر .. ولعل الوجوديين لم يكتبوا في هذا المجال اما لاهتمام البعض بالانطولوجيا كما عند هيدجر واما ترددا او انكارا ان تضع الوجودية مثل هذه الدراسة التقويمية كما هو الشأن عند معظم الوجوديين .

ولكن ، لعل ما سنفعله هنا هو ان نستخرج الدلالات الجمالية والمتعلقة بفلسفة الفن من خلال الرصيد الضخم الذي خلفه لنا الوجوديون عن فلسفاتهم .. ومما لا شك فيه ان محاولة استخراج نظرية عامة وجودية في الفن مسألة بالغة الصعوبة (فالواقع ان ثمة فلسفات وجودية بمقدار ما نعرف من فلاسفة وجوديين) ( ١ ) لكن في الحقيقة يمكن تسمي اتجاه عام يسود الوجوديين على شتى نزعاتهم الشخصية ، وفي الوقت نفسه لن نغفل نظرية كل منهم الخاصة .. وسوف نستخرج نظريتهم في علم الجمال وما قالوه عن فلسفة الفن استنادا الى ما ذكره عن مشكلة « القيمة » بصفة عامة وما ذكره عن مشكلة الاخلاق بصفة خاصة ، وما أوردوه عن الادب والفن بصفة أخص ..

( ١ ) فولكييه : هذه هي الوجودية ص ٧



.. لعلنا لن نستطيع ان نتحدث عن أدب وجودي قبل ان نتحدث عن فلسفة وجودية .. ذلك لان الادب الوجودي ، ان هو الا تطبيق للقضايا النظرية التي يشرها اصحاب هذا الاتجاه .. ولن نستطيع ان نحلل رواية مثل « الغريب » او مسرحية مثل « الابدي القذرة » او « الشيطان والرحمن » قبل ان ننفذ ، الى الجسدر الفلسفي الذي قامت عليه هذه الاعمال .. وذلك لان الوجوديين لا ينتجون فنهم بحس الفريزة ، بل ان الذهنية هي التي خطت قوام « أعمالهم » .

ولعل الطرح النظري للقضايا الفنية أجدى لتفهم هذه الاعمال الوجودية من طرح الفلسفة الوجودية كلها .. وهذه محاولة لتفهم الانظار الجمالية ، والدوافع الفنية التي يستند اليها الوجوديون .. وهي محاولة تهتم بحدود الرصد اكثر مما تهتم بحدود التقييم .. تاركا الامر في هذا المضمار لدراسة شاملة قادمة لكل تيار الفكر الممتد من بروتاغوراس - اول الوجوديين - الى جانسون تلميذ سارتر العنيد !

« مجاهد »

المنفصلة ، التي تستمد قوامها من نفسها ، فلا تخضع بالتالي لأي تقويم من خارجها » .. ( ١ ) وهي ترفض التاريخ بحكم أنها ترفض الواقع الاجتماعي ولأنها تحصر الإنسان في حاضر الفرد ومستقبله وتزعم عنه كل الأرضية الروائية والاجتماعية التي يولد بها .. وان سارتر « يبحث النظرية التقليدية للحضارة المستهرة » .. ( ٢ ) وهي ترفض العلم .. قد تسلم بالعلم أحيانا وفي بعض الموضوعات لكنها بصفة عامة ترفض الدراسة الموضوعية ، وترفض ان يكون الإنسان خاضعا لمثل هذه الدراسة ، لان الإنسان في نظرها شيء فريد يند عن كل دراسة موضوعية خارجية .. وهي تلغي القيم .. فهل يمكن للقيم ان توجد في هذه الفلسفة التي رفضت كل شيء ولم تبق الا على الحرية ذاتها ؟

الا ان الوجودية ، او لو توخينا الدقة ، ان بعض الوجوديين يحدون من غلوائهم ، لانهم يعرفون ان الفرد يوجد مع الآخرين وداخل نسيج اجتماعي .. ومن ثم تتمثل نظرية القيمة هنا او هناك من الفلاسفة الوجوديين . وهذا ما نراه بصفة خاصة عند سارتر .. لكن رغم هذا ، فان الوجودية سخط على الحياة وعلى العالم، وعلى العلاقات الاجتماعية، كل شيء تافه في نظرها ولا معنى له ولا غاية ولكنها لا تجد الشجاعة للث على الانتحار ، فتدعو الى الاستمسك بالحياة رغم تافهاتها ، على ان نحيا حياة عارية من كل ارتباط سواء أكان هذا الارتباط بالأمال ، او بالقيم الاخلاقية او بالمثل العليا ، او بالحياة الاجتماعية في أي جانب من جوانبها » .. ( ٣ )

عندما اراد سارتر ان يختم كتابه الضخم « الكينونة والعدم » أفرد فصلا للاخلاق وتساءل هل يمكن ان يقيم نظرية للقيم على أساس من فلسفة ؟ وقد اجاب هو نفسه : « الانطولوجيا نفسها لا يمكن ان تصوغ مفاهيم اخلاقية . هي معنية بحسبها هو قائم، ولا يمكن ان تشتق الاوامر من التضمينات الوجودية » .. وان يكن هو قد تناقض بعد هذا وقال بأنه بشيء من البصيص يمكن استخراج مثل هذه النظرية .  
اما واحد مثل الوجودي جوسدورف Goddurff فهو يرفض الحديث عن القيم ويريد ان يجعل الإنسان هو القيمة الوحيدة : « فعلينا - كما يقول - اطراح القيم التي تحط من قدر الإنسان وعلينا اعتبار الإنسان هو القيمة الاولى » .. (٤) غير انه يخشى ان نادى بهذا ان تصبح لدينا مليون نظرية في القيمة لو كان هناك مليون فرد ، ومن ثم يستدرك فيقول : « على كل انسان ان يخلي حقيقته لنفسه وفقا لتجاربه ولكن هذا التعدد في التجارب وهذا الاختلاف في السبل لا يعني ان علينا الايمان بوجود تعدد نهائي ، وانقسام في الحقيقة الاخلاقية فليس ثمة في النهاية ، ولا يمكن ان يكون ثمة الاحقيقة واحدة يجهد كسل انسان في الكون لبلوغها » .. (٥)

وهكذا يتراجع الوجوديون بين فريق منكر لوضع نظرية في القيمة تمام الانكار - وبين فريق يرى امكانية التحدث عن هذه النظرية مع ربطها بالحرية الفردية .. وحجة الفريق الاول المنكر ان « الوجودي الحق هو المتوحد الاكبر الذي لا يحرص على شيء قدر حرصه على المسافات ، على هذا الانفصال الدائم ، على ان يكون استثناء ما بينه وبين القاعدة عداوة مستحكمة فلا سبيل مطلقا الى زوالها . أعداءه القانون وكل ما يسوى بينه وبين الناس على أي نحو كانت هذه التسوية » .. (٦) ومن ثم يتوحد عند هذا الفريق الفعل بالقسوانية ولا تبقى لديهم قاعدة اخلاقية الا : « افضل ما شئت «ما دام جيدا» .. (٧) « اما الفريق الآخر ، فهو يعدل من موقفه المتزمت ، ولاهو تيسره

الفردية الحادة ، ويحاول ان يربطها في موقفه مع الآخرين ، وان يكن يعتبر الآخرين كادوات للذات كما عند هيدجر .. وهذا الفريق يستخرج نظرية في القيم ويدلي بآراء في الفن وعلى رأسه جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار والبير كامو .. ولذا سيكون تركيزنا على هذا الثالوث من بين كل الوجوديين باعتبارنا نجد لديهم كلانا عن القيم بشكل عام ، وعن الفن بشكل خاص كما في كتاب « ما هو الادب » والدراسات النقدية عن الادباء موريباك وكامو وفولكنر وكافكا عن سارتر ، وما كتبه كامو عن الفن في كتابه « الانسان المتمرد » وما ذكرته سيمون دي بوفوار في دراستها عن « الادب والبيثافيزيكا » .

✱

مما لا شك فيه ان للنظرية السارتيرية في القيمة شقين ، وكل شق يعارض الآخر تمام المعارضة الا ان جوهرهما في الحقيقة واحد لو اتمعنا النظر ..

لقد استنتج سارتر من قوله : « لو كان الوجود يسبق الماهية ، وان يستطيع الانسان ان يشرح سلوكه بالرجوع الى طبيعة انسانية معطاة ونوعية ، بمعنى آخر ليست هناك تحددية ، الانسان حر ، الانسان هو الحرية » استنتج سارتر من هذا وربط عليه : انني « لا أستطيع ان ابحث في داخلي عن دافع حقيقي شرعي للسلوك ، ولا أستطيع ان اتوقع من بعض الاخلاق صيغة تمكنني من السلوك » .. ومن ثم ينحدر هذا العالم بما فيه الى جيبي ، واذا حدث انني اخترت فعلا ما وفضلته على فعل آخر فأنني ساختار نفسي في كلا الحلين و « في اختيار انفسنا نفس العالم على اعتباره صورة ما نحن عليه : قيمة الاشياء والادوار التي تلعبها في حياتي وعلاقتي بها وتخطيط صورتي واختياري » .. وهنا يبدو ان سارتر يهتم بالفعالية الفريزية لا الارادة » .. ( ١ ) لانه يجعلني ألقي نفسي لمكوناتي الذاتية ورغباتي الفريزية الشخصية للغاية .. واذا كان سارتر يذكر : « اذا أنا اعتبرت فعلا ما فعلا خيرا فأنسا فحسب الذي يختار ان يقول انه خير وليس شرا » .. فيستتبع هذا ان « الانسان السارتيري انسان متحمل دائما من كل ازام قبلي وهو لا يقبل أي تصوير مسبق ولا أي نموذج وهو أبدا متدفق غير مشدود الى ماضى » (٢) .. قد تكون نظرية سارتر الاخلاقية « تدعو الى اعطاء معنى دينامي لكلمة قيمة والى معارضة فكرة الحضارة القائمة على شكل متجمد من الخيرات المكتسبة (٢) » .. لكن ثمة فرق بين ان أرخص القيم البالية التي تعوق تقدمي لا بدع قيما اخرى متطورة في وسط اجتماعي وبين ان أرفض كل القيم وانزع عن الانسان قوامه الاجتماعي والانساني بحجة نبد القيم البالية كما فعل سارتر ..

هذا هو الشق الاول من فلسفة القيمة - وخاصة الاخلاق - عند سارتر . اما الشق فهو يحاول ان يخرج هذه الذات من هذه العزلة التي وضعا فيها .. لقد انطلق سارتر - كما انطلق ديكرت قبله - من الذات ، من الكوجيتو الذي يجعله نقطة بدئه الفلسفية .. « نقطة الانطلاق هي : لا يمكن ان توجد حقيقة اخرى سوى : أنا أفكر اذن أنا موجود والني هي الحقيقة القصوى للوعي » .. لكن سارتر لا يريد ان يتوقف عند معنى ضيق للذاتية ، وانما هو يحاول ان يستخرج معنى لها اعق، فيرى ان « الذاتية تعني من جهة حرية الفرد ، ومن جهة اخرى ان الانسان لا يستطيع ان يتخطى الذاتية الانسانية . والمعنى الاخير هو المعنى الاعمق للوجودية » .. فسارتر يرى ان الذات على صلة بالآخرين لان الاخر عنده ليس شرط المعرفة فحسب ، بل شرط للوجود كذلك .. فاذا كانت الذاتية عنده هي معيار كل شيء ، ينهنا الى ان « الذاتية التي تضعها كمقياس للحقيقة ليست ذاتية فردية ضيقة .. فهي ليست ذات الراء التي يكتشفها في الكوجيتو .. بل ذوات الآخرين ايضا » .. ومن هنا حاول

- (١) عبد الرحمن بدوي : هل يمكن قيام اخلاق وجودية ؟ ص ٢٢
- (٢) البيريس : سارتر والوجودية ص ١٣٩
- (٣) مصطفى سويف : الاسس النفسية للابداع الفني ص ١١ - ١٢
- (٤) عن فولكبييه : هذه هي الوجودية ص ١٧٠
- (٥) المصدر السابق : ص ١٧١
- (٦) عبد الرحمن بدوي : هل يمكن قيام اخلاق وجودية ؟ ص ٢٤٧
- (٧) المصدر السابق : ص ٢٤٨

(١) فولكبييه : هذه هي الوجودية ص ٨٧

(٢) البيريس : سارتر والوجودية ص ١٣٨ - ١٣٩

(٣) المصدر السابق ص ١٢٨

أما جوهر نظرية الالتزام فقد ركزها وقصرها سارتر على الكاتب الناثر .. ومن ثم بدل أن يشيخه الى خارج المدينة كما فعل افلاطون مع الشاعر ثم يطرده ، نرى سارتر يقيم الأسوار والقيود حتى لا يخرج هذا الناثر من المدينة ، بل ويجعله واقفا طيلة حياته على الشوك ، لان عليه مهمة المشاركة في الحقل الاجتماعي .. بل لقد « اعتبر سارتر فلوير وغونكور مسؤولين عن حركة القمع التي تبعت حركة الكومون لانهما لم يكتبتا سطرا للحيلولة دونهما » (1) .. ولنلاحظ ان سارتر لا يحاسب الاديب على كونه كتب ، بل يحاسبه ايضا على عدم كتابته ، لانه يرى ان الصمت - كما هو الحادث في الموسيقى - له معنى .. وان سكوت الاديب على الظلم الاجتماعي هو مشاركة منه وتأييد لهذا الظلم .. فعلى أي اساس تقوم نظرية الالتزام عند سارتر ؟ على اساس القيمة الفردية للحرية .. فحرية الاديب ستكون مسؤولة مسئولية ذاتية ، بكونه اعلى صورة للانسان الذي يبدو مثلا في سلوكه في عين الآخرين .. وتقوم عند كامو على مدى تمرد الفنان ، وهو تمرد ايضا نابع من الذات .. « ان تمرد الفنان ضد الواقع .. يحتوي نفس التأكيد كالتمرد التلقائي عند المصطهد » .. والمؤلفون هم « أناس تاريخيون .. ولهذا السبب بعضهم يريد ان يهرب من التاريخ بان يقفز الى الابدية » .. ومهما حاول الاديب الا يلتزم فهو مضطر في كتابته وفعله ان يتخذ موقفا ازاء البشرية .. لان كل حادثة انسانية تملك فيما وراء محيطها البسيكولوجي والاجتماعي دلالة ميتافيزيقية لان الانسان خلال كل منها منخرط بعلمته في العالم » (2) ..

لكن الالتزام الذي يعنيه سارتر هنا بالنسبة للاديب الناثر ، شيء مختلف عن الالتزام كما رأيناه في الجانب الاخلاقي لمشكلة القيم .. فلقد كان الالتزام هناك غرائزيا .. أما هنا فهو التزام عقلي .. « فالكاتب يكون ملتزما عندما يحاول ان يحقق اكثر وعي واضح كامل بما يستغل به ، أي عندما يجعل التزاميته التلقائية المباشرة تتقدم لما هو متأمل بالنسبة له وللآخرين » .. فاذا وعى الكاتب هذا فلن يملك الا ان يكون متمردا وسيرفض كل ما هو معطى من عنق وفساد ، وان يكن يظل هذا الرفض عند سارتر قائما على المعيار الذاتي .. وبهذا الالتزام اذا كتب الكاتب فانما « يعطي المجتمع ضمير اذانة ولذلك فهو في حالة تطاحن دائم مع القوى المحافظة التي تريد ان تحافظ على التوازن الذي يريد هو قلبه » .. وهو في كل هذا انما يوجه كتابته للآخرين ليشعرهم بمسئوليتهم في ان يغيروا انفسهم ويلتزموا بدورهم دون ان يفرض بعمله نوعية هذا الالتزام لانه ليس هناك فن الا للآخرين وبواسطة الآخرين » .. وهو في كتابته للآخرين يعي مسؤوليته لان الروائي « ليس له الحق ان يتخلى عن المعركة ويستقر آمنا على جبل كمتفرج » ..

بل ان الاديب وهو يتوجه لقرائه انما يحدد جمهورية ، يحدد جمهوره على اساس نوعية ما يكتب ومفهوم ما يدخله في ادبه .. ومن هنا يتم عند سارتر التوحيد بين الموضوع والجمهور ، ويجعل التسوق قائما على نوعية ما يختاره الاديب لقرائه .. فاذا حدث اختلاف في الاذواق ، فذلك يرجع الى الاختلاف في الدلالات التي يبنيها المؤلفون في موضوعاتهم .. وعلى هذا « يجب ان يعي الكاتب بان لا يوجد اختلاف من اي نوع بين موضوعه وجمهوره لان موضوع الادب كان دائما هو الانسان في العالم » ..

وها هنا ، اضفى سارتر على الفن وظيفة اخلاقية بطريقة ان يفرض الرأي بدل ان يستقرىء الواقع ، فمما لا شك فيه لديه « ان ادبا كهذا يحمل طابعا اخلاقيا : انه يتوخى انارة حغبة ويتبع وجود خطوط توجيهية فيها » (3) .. وقد صرح سارتر بنفسه تصريحاً قاطعاً بقوله : « ينبغي ان نشهد ان يصبح الادب كله اخلاقياً وادب قضايا » (4) ..

ان يضع للحرية الفردية فيدها .. اما هذا الفيد فهو المسئولية .. لكن المسئولية عند سارتر ليست مسئولية الفرد امام الله او مسئولية امام الآخرين ، بل هي مسئولية امام نفسه .. ومن ثم يسترد سارتر باليسار ما كان قد اعطاه باليمين .. وترند الى طاحونة القيمة الذاتية .. ان سارتر يريد ان يغير الفرد من مجتمعه عن طريق فعله ، ولكنسه يتحرك الاحساس بهذه المسئولية لضميره دون أي قيد اجتماعي او خلقي ، وسارتر يحاول ان يبرد مثل هذه المسئولية الذاتية بقوله : « مما لا شك فيه انه يختار دون الرجوع الى قيم مسبقة ، لكن من الظلم ان نتهمه بالهوى » .. ان سارتر يريد ان يدفع المرء من مجرد كونه شيئاً في ذاته كشيء ساكن جامد ، الى شيء متحرك ، الى شيء لذائسه متحرك توفاني لان جوهره حرية ، وحرية تعال وتخط ، وتعاله اختيار حر ، ومن هنا تم التوحيد عنده بين القيمة والنقص ، لان التخطي يرتبط بعدم الاكتمال حتى يصبح الانسان الله .. « القيمة نقص في العلامة لما يحدد الشيء لذاته وجود كنقص » .. لان الانسان ليس مجموعة ما يملك ، بل مجموعة ما لا يملك بعد ، مجموعة ما يجب ان يملك .. باعتبار ان جوهر الانسان الزماني انما هو البعد المستقبلي الذي يتحقق عن طريق الفعل ..

وهكذا نرى ان الوجودية معنية بالانسان وبالقيم عند بعض روادها .. لكنها الغاية الفردية ومن هنا نرى ان الوجودي كما يعتقد جوسدرف « يتخلى عن الكلمة التقليدية اعرف نفسك بنفسك ويستبدل بها كلمة : كن ما أنت » (1) وكان نتيجة هذا حرية قائمة على فعل الفريزة لا على فعل التدبر ، وصارت الحرية تعادل الفوضى التي ربما تدمر الانسان الفرد نفسه .. « فبالنسبة لسارتر لا يوجد أي اله او طبيعة انسانية محدودة من قبل .. وبهذا جعل سارتر الانسان خالق القيم كما لو كان حرية مطلقة مثل الله » (2) .. ولم يملك سارتر ، الا ان يختم كتابته « الكينونة والعدم » بهذه العبارة : « الانطولوجيا والتحليل النفسي الوجودي يجب ان يكشف للفعل الاخلاقي انه الوجود الذي به توجد القيم .. وحينئذ فان حريته ستصبح واعية بذاتها وستكشف نفسها في الفلق على انها المصدر الوحيد للقيمة والعدم الذي به يوجد العالم » .. فاذا كان هذا هو جوهر نظرية سارتر في القيمة وخاصة في الاخلاق ، فهل يمكن ان نستند اليها فنعرف نظريته في الفن ؟ اننا نستطيع ان نفعل هذا حتى ولو لم يكتب لنا كتابه « ما هو الادب » .. ففي كتابه « الوجودية فلسفة انسانية » يعقد مقارنة بين الاخلاق والفن فيقول ، « ان الاختيار الاخلاقي هو مما يمكن مقارنته بالعمل الفني » ..

✱

والحديث في فلسفة الفن عند سارتر ذو ثلاث شعب : حديثه عن وظيفة الفنان ، وحديثه عن الوظيفة الاجتماعية للعمل الفني ، والشعبان هنا يمكن ان تتوحدا في قسم واحد ، ثم الشعبة الثالثة وهي حديثه عن النواحي الفنية والجمالية في حد ذاتها ..

لقد حدد سارتر للفنان دورا لم يقمه من استقراء الواقع ، وانما اقام هذا الدور على اساس من فلسفته ومنهجه .. وجعل للاديب الناثر دورا هاما في المجتمع وفي تغييره .. وسارتر يفرق في حديثه في الفن بين الانواع الفنية .. فيجعل النثر في جانب ، والشعر والرسم والنحت والتصوير والموسيقى في جانب .. ويقصر الوظيفة الاجتماعية على جانب النثر وحده بينما يخرج الفنون الاخرى من هذا النطاق وسوف نمسود الى هذه النقطة عند حديثنا عن الشعبة الثانية في نظريته عن الفن .. واذا كان افلاطون قد ادرك الوظيفة الاجتماعية للشاعر ومن ثم طرده من جمهوريته لخطورة هذا المخلوق الذي يزيغ الواقع الذي هو اصلا تزييف لعالم المثل ولانه ينطق بما يكتبه في حالة غير سوية ، فان سارتر لا يهتم بهذا الشاعر ، هو لا يطرده ولا يعاب به على اساس نظريته في استبعاد الشعر من دائرة الالتزام ..

(1) عن البيريس : سارتر والوجودية .. ص 102 ..

(2) سيمون دي بوفوار : الادب والميتافيزيقا ص 28

(3) البيريس : سارتر والوجودية ص 100

(4) عن المصدر السابق : ص 100

(1) عن فولكييه : هذه هي الوجودية ص 169 ..

(2) آلن : وجودية من الداخل ..

وفي الحقيقة يخرج سارتر أحيانا على حدود مذهبه ، ويدخل ويعدل من تاويل خطوط فلسفته العريضة وفق حياته هو ، لان حياته الفكرية اتخذت خطأ منحيا وليس خطأ مستقيما .. وبهذا تكون « حركة تفكيره قد ساقته الى هذه الضرورة بان يعلق قيمة الانسان على استنويات التي يظطلع بها ، وهو يعتبر ممانحة الاديب للقضايا السياسية والاجتماعية اكبر اضطلاع له بهذه المسؤولية » (1) .. بل لعل حياته هذه ووقوفه ضد الحكومات الفرنسية التي تحارب الجزائر ولاشتراكه في حركة المقاومة السرية ضد الاحتلال الالمانى واسره في الحرب ، قد طور كل هذا من نظريته وجعله يعلن : « في اللحظة التي تردنا فيها جميع الكنائس وتحرمنا ، وفي الوقت الذي يبدو فيه في الكتابة وهو محصور بين الدعابات فاقدا فعاليتيه الذاتية ، فان التزامنا يبدأ » (2) ..

وبهذا نرى سارتر الذي يرفض ان يخطط للمرء قيمه ، يرسم للاديب طريقه ، ويضع له القيم المسبقة للصور ، فلن ينظلي علينا ان يقول سارتر ان هذا تحليل موضوعي للكاتب لانه اصلا لم يشرح المجتمع ولم يشرح وضع الانسان فيه بدراسة موضوعية وموضوعية وانما هو تنازل الاديب وصلته بالآخرين بصفة عامة في تجريد لا انطلاقا من الواقع الخارجى ..

هذا من ناحية نظريته عن الاديب .. فما هي نظريته للفن ؟ ذكرنا من قبل ان سارتر يقسم الفنون قسمين : قسم ملتزم والاخر غير ملتزم .. فاما النوع الاول ، فقد قصرها على النثر وخاصة في الرواية والمسرح .. واما القسم الاخر فقد ضم فيه سائر الفنون الاخرى والحق به الشعر فما هو التبرير الفلسفي لمثل هذه التفرقة ؟

الاساسى الوحيد هو مفهومه عن « الدلالات » فهو يرى ان « الرسم لا يريد ان يرسم دلالات على قماشه ، بل هو يريد ان يخلق شيئا .. » .. بينما الكاتب « يمكن ان يرشدك ، واذا وصف حظيرة يجعلها رمزا على الظلم الاجتماعى ويشر سخطك » .. فكان سارتر يجعل النثر ادبا للحياء ، بينما يرد عن الفنون الاخرى نظرية الفن للفن بمصطلح وجودي .. لانه يرى ان الرسام يهدف الى اللون في ذاته ، والموسيقى يهدف الى النغم في ذاته وبهذا « لا يرسم المرء المعاني ، ولا يضعها في الموسيقى » .. ومن هنا جعل الفن قائما على المحاكاة المجتة دون ان يبت فيها الدلالة ولم يبرر لنا سارتر مثل هذا القول او يقنعنا .. وانما هو يفترض القضية افتراضا .. هو ينطلق من فكره لان واقع الفن نفسه .. فعما لا شك فيه ان نماثيل رودان ، انما تعبر عن معاني بعينها ، وموسيقى بيتهوفن حافلة بالمعنى وان يكن التجريد في الموسيقى هو الاعم .

وسارتر ينهبنا الى ان الناشر والشاعر يستعملان تماما نفس الكلمات الا ان كلا منهما يستعمل اللغة بطريقة مخالفة .. لان الشاعر في رايه يهدف الى الكلمات في حد ذاتها بكل طولها ونغميتها ووقعها ، وبهذا يكون الشعر عنده لهوا ويرتد في هذا النطاق الى شكلية « كانت » فالشعر عنده لا شان له بالدلالات والمعاني ، والشاعر « لا يستعملها ( الكلمات ) بنفس الطريقة ، او بالاحرى لا يستعملها انطلاقا » .. « فالشعراء هم رجال يرفضون ان يستعملوا اللغة للنفع » .. لقد اختلف الوجهة الشعرية التي تعتبر الكلمات كاشياء وليس كدلالات . فهو يفرق بين استعمالين للغة ، بين الرجل العادي والشاعر « فالانسان السذبي يتحدث واقف وراء الكلمات وقرب الشيء بينما الشاعر على العكس ، فيالنسبة للاول الكلمات مطوعة ، وهي بالنسبة للاخير في حالتها المتوحشة البدائية . بالنسبة للمتحدث هي اصطلاحات وادوات تمهـ تدريجيا ويرميها المرء عندها لا تعود تخدمه ، وبالنسبة للشاعر فهي اشياء طبيعية تنمو بطريقة النبات الشيطاني على الارض مثل العشب والاشجار .. » « الشاعر خارج اللغة هو يرى الكلمات من الداخـ للخارج كما لو كان لا يشارك في الوضع الانساني ، وكما لو كان يلاقي الكلمة لأول مرة كعز وهو يقترب من الناس » .. وعلى هذا تكون

(3) المصدر السابق : ص 161

(4) عن المصدر السابق : 156

« الكلمة الشعرية هي عالم اصغر » .. اي انها عالم انسان متوحسد وتمكش داخل احساسه والمقارنة بين الناثر والشاعر هي انه « انشاء ما يعرض كاتب النثر مشاعره ، يصورها الشاعر اذا ذفد مشاعره في قصيدته لا يعود يميزها ، فانكلمات تستولي عليها ، وتحرفها وتحولها الى اسمعرات وهي لا تدل عليها حتى في عيني الشاعر » .. واذا كان سارتر يقول لنا « ان النثر اول وقبل كل شيء هو وجهة نظر العقل » افلا يتبع هذا ان الشعر عند سارتر خاص بالعواطف ومن ثم فهو يخرج عن نطاق الالتزام اندي هو تدبر فكري ؟ وهل هناك فحسب في الواقع مثل هذا التسلسل بين حياة العقل وحياة الشعور ؟ الا يمكن ان تؤثر الواحدة في الاخرى فتفتنى ؟ وماذا نحن قائلون مثلا عن قصائد البيوت التي يهدف فيها الى العودة الى الكنيسة والى ماضي العصور الوسطى؟ ليست حافلة بالمعنى والدلالة والتدبير الذهني بطريقة فنية في شعره؟ لعل شعر الرمزيين هو الذي كان في ذهن سارتر عندما ذكر مثل هذا القول لان الشعراء الرمزيين يريدون ان يحولوا الشعر ، الى مجموعة من النغمات كما تبدى عند فرلين ورامبوا وغيرهما .. ومن هنا يتبدى للمرء الالف ان سارتر لا يستفري النماذج الشعرية في كافة غمداستها ، وانما هو يخطط ذهنيا انطلاقا من فكره لا من ارض الواقع الفني ذاتها . وينتهي الى ان « امبراطورية الدلالات في النثر ، فالشعر على صعيد الرسم والنحت والموسيقى » .. لان « النثر في جوهره نغمي » .. وبهذا يبدو مرة اخرى ان قضية الالتزام الادبي مبنية على الاخلاق وان تكن هذه الاخلاق مبنية على حرية الفرد المستقلة امام نفسها ..

ويكاد سارتر في معظم حديثه عن النثر ان يخص الرواية بشكل النصيب . ولما كان الروائي « قد الزم نفسه في عتالم اللغة فهو لا يستطيع ان يصمت » .. وسارتر في الحقيقة رغم كسـ تناقضاته يعلم خطورة اللغة كأداة اجتماعية فيذكر ان « الكلمات كما قال بريس بارين هي مسدسات محشوة واذا تحدث فهو يطلق النار . ربما يصمت لكن لانه اختار ان يطلق النار ، فيجب ان يفعل هذا كرجل بان يصوب نحو اهداف ، وليس كطفل - كيفما اتفق - يعلق عينيه ويطلق مجرد سماع الطلقة وهي تدوي » ..

والكاتب اذا كتب فهو انما يكتب عن حريته وحرية الاخرين ، وفعله هذا فعل حرية تريد ان تتحرر وتفسر « فالكتابة هي طريقة معنية من ارادة الحرية ، فاذا بدأت ، فأنت قد التزمت » ..

فما هو الموضوع الذي يمكن ان يتناوله الاديب الناثر في روايته مثلا ؟ ان سارتر يؤكد ان هذا الموضوع انما هو الحرية .. بل وهو في كل انتاجه الادبي انما يطبق هذه النظرية .. فسيناريو الفيلم السذبي كتبه باسم « تمت اللعبة » نجده يقول بان حرية الانسان قائمة على الاختيار ، ولما كان هذا الاختيار يقتضي ان اختار ممكنا وانحر سائـ الامكانيات ، فان الانسان انسان زمني متناه ، والتناهي انما هو جوهره .. وهو في رواية « دروب الحرية » يتناول مفهوم الحرية عند المتدينين والماركسيين والوجوديين ، ويركز على هذه الحرية الاخيرة .. وهو في كل مسرحياته بلا استثناء نجد ان موضوع الحرية هو الشاغل الوحيد لسارتر .. قد نجد موضوعا آخر بارزا على خشبة المسرح لكن الموضوع الاساسي الذي يختفي خلف الاحداث وافكار انما هو موضوع الحرية . يقول هذا صراحة في مثل قوله : « نريد ان نضع على المسرح مواقف معنية ، تلقي الضوء على المظاهر الرئيسية لوضع الانسان حتى يشارك النظارة في الاختيار الحر الذي يقوم به الانسان في تلك المواقف » .. وعن الرواية يقول : « ان الصراع الحقيقي في الرواية هو بالاحرى بين الحرية وذاتها » ..

وبهذا ، لما كان سارتر قد جعل الحرية موضوع الكاتب الوحيد فانما هذا لانه يتوجه باعتباره كاتباً حراً الى اناس احرار ، أي أن حرية الكاتب تتشابك مع حريات الآخرين و « الكتاب - كعلاقة - يقيم صلة تاريخية بين اناس ينحدرون في نفس التاريخ ويشاركون بالمثل في عمله » .. ومن هنا لا يفصل سارتر الجانب الآخر في عملية الفن ، أي لا ينسى أن

فانما تحمل كشفاً للوجود لا يمكن لأي نمط تعبيري آخر أن يعدلته ، وبدل أن تكون كما زعم بعض الناس أحياناً انحرافاً خطيراً للنوع الروائي ، يبدو لي على العكس ، أنها بمقدار ما تنجح في تحقيق غايتها اكتمل تحقيق له لأنها تجهد في ادراك الإنسان والحوادث الإنسانية في علاقاتها بمجموع العالم ولأنها وحدها تستطيع أن تحقق نجاح ما يفشل فيه الأدب الخالص كما تفشل الفلسفة الخالصة إلا وهو تصوير هذا القدر فسي وحدته الحية وفي ابهامه الجوهرى الحي ، هذا القدر الذي هو قدرنا المسطور في الزمن وفي الأبدية في آن واحد .

هذا هو جوهر نظريتهم في فلسفة الفن ( على أساس تقبيل الفرضية القائلة بأن علم الجمال هو فلسفة الفن ) .. وإذا كان سارتر قد جعل الالتزام فاصراً على النشر فإن واحداً مثل كأمو يعمم كلامه على الفن ، فلا فرق عنده بين النحت والنشر .. وليس الفن عنده محاكاة للطبيعة كما فعل واحد مثل أفلاطون ، وإنما الفنان يسقط وجهة نظره التي هي وجهات اختياره في تعبيره الفني .. فالنحت « ليس غرضه أن يحاكي ، بل أن يؤسلب وأن يحبس في تعبير واحد ذي دلالة ، تشبوه الجسد المفلتة ، أو التنوع اللانهائي لوجهات النظر الإنسانية » .. الفن عند الوجوديين ليس تقبلاً للواقع وإنما رفضاً للواقع ، لأن غرضهم التبشير بما يكون عليه المستقبل « فالفن .. يؤدي بنا السى اصسول التهرده ، الى التحد الذي يحاول فيه أن يمنح شكله الى قيمة مراوغة يعد بها المستقبل دائما » .. انهم يريدون من الفن ان يصور تلك العملية التي يثور بها الفرد في وجه الخليقة .. وليس معنى الرفض الهروب فهذا هو ما يحذرنا منه البير كامو « فالإنسان يرفض العالم كما هو دون أن يتقبل ضرورة الهروب منه » .. بل ان كامو يرتب على هذا تحديد المذهب الفني الذي يتبعه الفنان . يقول : « المحاولة التسيي يرفضها الفنان على الواقع ، يعلن فيها توتر رفضه . لكن ما يستفيد من الواقع في العالم الذي يخلقه يكشف درجة تقبله التي يمنحها على الاقل لجزء من الواقع الذي يرسم من ظلال الثورة ليعرضه في ضوء

الإبداع سيكون موضوع تنوق .. لكنه لم يشرح التنوق سيكولوجياً واجتماعياً ، وإنما ركز على المتنوقين ، على القراء أنفسهم وذلك لان عملية الكتابة تتضمن القراءة على أنها معاد لها الجدلي » .

وهذان الفعلان المرتبطان يقنضيان « فاعلين متميزين » ولأنه « ليس هناك فن الا للآخرين وبواسطة الآخرين » .. بل يرى سارتر أن الأديب يجب أن يكتب وعينه على عين قارئه ، أي أن يختار الفئة التي يكتب لها ، لأن هذا سيحدد موضوعه لانه « لا كانت حريات المؤلف والقارئ تبحث وتؤثر الواحدة في الأخرى خلال العالم ، فيمكن أن يقال تماماً أن اختيار المؤلف لمظهر معين للعالم يحدد القارئ والعكس صحيح ، بأن الكاتب وهو يختار قارئه يقرر الكاتب موضوعه » .. بل يذهب سارتر الى حد أن يعتبر العمل الأدبي مجرد صرخات على الورق لا معنى لها ان لم يكن متوجها الى الآخرين « فالكاتب يكتب ليواجه نفسه امام حريسة القارئ وهو يتطلب هذه الحركة لكي يجعل عمله يوجد » ..

ولكن ألا يمكن أن يكتب الأديب لكل الناس ؟ الحقيقة ان سارتر وفقاً لرأيه في أن الحرية إنما تزاول داخل مواقف ولما كان الإنسان مجموعة من المواقف التاريخية ، فإن سارتر يشجب هذه القضية ، ويرى أن هذا وهم مثالي ، وأن الكاتب إنما يتوجه الى أناس بعينهم في فترة زمنية بعينها . فسواء أردنا أو لم نرد ، وحتى لو كانت عيونه مصلوبة على الأكاليل الخالدة ، فإن الكاتب يتحدث لمعاصريه واخوته في الطبقة والجنس » .. بل ان سارتر يرفض تناول القضايا العامة الكبيرة وإنما يريد ان يوظفها داخل نطاق العصر « فلا يستطيع الكاتب أن يكتب عن المجموع البشري ، ولا عن الإنسان المجرد في كل العصور ولقسارىء لازماني ، لكن يستطيع ان يكتب عن الإنسان جميعه في عصره ولعاصريه » .. وهذا ما فعله سارتر نفسه ، اذ كان يكتب الرواية او المسرحية ويكون موضوعها مستمداً من أحداث فرنسا وهو يتوجه بها الى أناس واقعيين في انشوطه الاحتلال الألماني ..

ان نظرية سارتر في الأدب فيها من الدعوة والنداء أكثر مما فيها من الدراسة والاستقراء ، ومن هنا يطالب برفض معايير فلسفية تقويمية في النطاق الأدبي . ومن هنا جاءت مناداته مع سيمون دي بوفوار بخلق رواية ميتافيزيقية ، أو ما يمكن تسميته برواية المواقف .. وهذا النوع الأدبي مختلف عن الرواية السيكلوجية كما عند بروست أو دستوفسكي مثلاً ، أنها رواية الإنسان التمرد والذي يريد أن يرفض الواقع ، وأن يدلي بشيء وأن يكشف عنه الموقف الفلسفي أكثر مما يريد أن يكشف عن الهدف النفسي داخل الشخصية .. « أفليست الرواية في الواقع إلا العالم الذي يمنح فيه الفعل مع الشكل وحيث تقال الكلمات النهائية وحيث يملك الناس الواحد منهم الآخر تماماً وحيث الحياة تأخذ على عاتقها مظهر المصير » .. ؟ و « الرواية لا تكتسب قيمتها وكرامتها إلا اذا حققت للمؤلف كما تحقق للقارئ كشفاً حياً » . ( ١ )

لكن ، هل الرواية الميتافيزيقية هي أن تكتب فلسفة في قالب أدبي؟ تحذرنا سيمون دي بوفوار من هذا ، فهي ترى أنه « عن العتب تخيل رواية ارسطوطاليسية أو سبينوزية وحتى لايمتنزبة لانه لا محل حقيقيا في هذه المذاهب الميتافيزيقية للذاتية وللزمانية » .. ( ٢ ) اذن فلن نجد هذا النوع من الرواية الا في الفلسفة التي تتناول الإنسان وتشرحه زمنياً وذاتياً ، ولما كان هذا غير متوفر ، الا في الوجودية ، فيمكن أن تستنتج أن الرواية الميتافيزيقية لا بد وان تكون رواية وجودية « الرواية فعل ، والروائي ليس له الحق ان يتخلى عن المعركة ويستقر آمناً على جبل كمتفرج » هذا ما قاله سارتر وبهذا يكون « عالم الرواية فحسب هو تقويم للعالم الذي نعيش فيه ، وفي تتبع أعمق رغبات الإنسان » .. ومن هنا فهذه الرواية الفلسفية عندهم لن تكون تجريدات وإنما مواقف معاشة : « ان الرواية الميتافيزيقية اذا ما قرئت بصدق وكتبت بصدق

صدر حديثاً

# مع الإمام علي

من خلال « نهج البلاغة »

دراسة مستفيضة عن عبقرية الامام علي  
كسياسي وحكيم من خلال خطبه ورسائله التي  
يتضمنها كتابه الخالد « نهج البلاغة »

تأليف

خليل الهنداوي

منشورات  
دار الآداب

( ١ ) سيمون دي بوفوار : الأدب والميتافيزيقا ص ٢٧

( ٢ ) المصدر السابق ص ٢٨

الخلق . وفي التحليل النهائي ، اذا كان الرفض كلياً ، فالواقف اذن يختفي تماما والنتيجة انتاج شكلي محض . وماذا كان الفنان على العكس يختار ، فالنتيجة هي الواقعية » .

هذا عن الشبعتين الاوليتين .. اما الشعبة الثالثة التي تخصها النواحي الفنية فقد تحددت ايضاً وفق المفهوم الوجودي سواء عند سارتر او دي بوفوار او كامو .. ويمكن هنا ايضاً نفس التناقض الذي نجده دائماً في أي مشكلة يعرضون لها .. فسارتر يقول : « ليست لدى الفنان صورة سابقة التحديد بالنسبة له ليعملها ، الفنان يطبق نفسه في بناء الصورة ، والصورة التي يجب عملها هي بالدقة التي سيعملها » بل ويفالي في هذا عندما يقول : « كما يعرف كل فرد ، ليست هناك قيم جمالية مسيئة » .

لكن هناك قيم ستظهر في اتقان الصورة ، وفي العلاقة بين ارادة الخلق والعمل الفني .. وهنا يخلط سارتر بين الجوهر في الفن الذي يجب ان يتوفر في كل العصور ، وبين التكتيك الخاص بكل مؤلف .. فمما لا شك فيه ان الايقاع في الشعر مثلاً يسود الشعر في كافة العصور وفي اي البلدان ، لكن نوعية الايقاع متروكة للشاعر نفسه ان يستخدم الايقاعات الموجودة بالفعل او التي يطورها او التي يفرها .. واللحظة الدرامية في العمل المسرحي نجدها في مسرحيات اليونان ومسرحيات شيكسبير بل ومسرحيات سارتر نفسه ، انما الذي تفر فهو تكتيك كل فنان .. وعلى هذا ينزع سارتر عن الادب جنوره الاجتماعية ، لان الوسائل الفنية والصياغية نفسها هي نتاج مجتمعات بعينها وواقع انساني محدد ولقد تناقض سارتر واعترف بهذا في مبدأ كتابه « ما هو الادب » حين قال : « مما لا شك فيه ان فنون حقة ما ... تتحدد بنفس العوامل الاجتماعية » .

ولما كان سارتر يدعو الى الرواية الميتافيزيقية والى مسرح تعرض عليه اوضاع الناس ومواقفهم فقد وضع سارتر بعض القواعد الفنية ، مع ان التمشي المنطقي لهذا الا يضع مثل هذه القواعد ويتركها للفاعل الفرد بحكم منطق فلسفته هو .. لكنه تناقض - وهذا دأب الفلاسفة - وادلى بآراء حول بعض المشكلات الفنية ..

واهم مشكلة ركن عليها الوجوديون حديثهم في النواحي الفنية ، انما هي مشكلة البطل ، فالبطل الوجودي لا بد ان يكون حراً ، ان يفلت من اية تحديد سواء كانت هذه التحديدية وراثية أم اجتماعية ويجب ان يكون ممنوحاً كل حرية وان تبتق الحرية من داخله ومن أعماقه .. واذا حدث اني شككت في ان أفعال البطل المستقلة محددة مقدماً عن طريق الوراثية والتأثير الاجتماعي او اي ميكانيكية اخرى فان زمني يرتد الي وتبقى فحسب نفسي تقرأ وقد جابها وقاومها كتاب جامد . « هل تريد لشخصياتك ان تحيا ؟ انظر حتى تجعلها حرة » .. فاذا حدث هذا فلاذن « القراء هم دائماً قدام الجملة التي يقرأونها من أنهم في مستقبل احتمالي والذي يتحطم جزئياً ويتطابق جزئياً وهم يتقدمون والذي يجرهم من صفحة الى أخرى ويكون الاق المنحرف للموضوع الادبي » .. ومن هنا يبدو البطل كنيات شيطاني مقنوف به ويكون مشاريعه ولا شيء امامنا في الرواية ، الا هذا التكون بمعنى ان التركيز على البعد المستقبلي لا الماضي هو هدفهم بعكس واحد مثل اميل زولا .. وهذا عين ما اكده سارتر في حديث صحفي معه : « كل واحد من شخصياتي بعد ان يفعل أي شيء تظل عنده امكانية ان يفعل أي شيء آخر . عند زولا كل شيء يخضع لتحديدية محكمة . ان مؤلفاته كتبت في الماضي بينما شخصياتي لها المستقبل » .. لكن هل حقا الشخصيات تظل حرة عند سارتر أم ان هذا هو طلوؤها الخارجي ؟ « ان غرض سارتر من كل هذا ان يبرز حريات اشخاصه ، ليدلك على أنهم احرار في تكوين حياتهم ، وأنهم لا يستندون الي اية قيمة سابقة لكنه وهو الواقف بالمرصاد يحرك بيديه خيوط حياتهم انما يقتلهم ويقتل حريتهم ويقتل مسرحه نفسه ولا يتسرك لنا الا ان نبيك مقتله هو على مسرحه » (1) .

ونحن عندما نشرع في قراءة عمل أدبي وجودي يلفنا غموض ضخم يحكم ان الشخصيات ينزع عنها وجه هو الوجه الماضي ويتلأأ منها فحسب الوجه التقبلي ومن هنا يحدث للقارئ نوع من القلق .. وفي الحقيقة « ان الشخصيات في المسرح الوجودي ليست واضحة كل الوضوح وكذلك الحوادث .. وانما هي تدور في شيء من الاهتمام على أساس ما قالته سيمون دي بوفوار من ان الحياة مزدوجة الدلالة والمعنى وانها حالة من الغموض يتبين فيها المرء وضعه ومكانته . ولعل اصحاب هذا المسرح متأثرون بقولة للفيلسوف الدانمركي كيركجورد من أنه يجب ان يطلق الشخص الوجودي ، أي الذي يعيش وجوده - الفنان للأفكار فتبدو في بكارتها وفي رعشة خلقها الاولى » .. ( 1 )

والوجوديون يذكرون بان البطل في العمل الادبي اذا صور هكذا فستنزع عنه قدسيته . ولهذا نرى ابطلا في الرواية والمسرح الوجوديين يكونون جنبهم او شجاعتهم « فالوجودي يقول بان الجبان يصنع نفسه بجبن ، والبطل يصنع نفسه بطولياً ، وبان هناك امكانية للجبان ان يتخلى عن جبنه وللبطل الا يصبح بطلا » .. وهذا عين ما اكده كامو : « الابطل انما يتكلمون لغتنا ، ولهم ضعفنا وقوتنا وعالمهم ليس اجمل من عالمنا ولا أكثر اضاءة . لكنهم على الأقل يتابعون مصائرهم الى النهاية الائمة » .

لقد حاول الوجوديون ان يخضعوا الوسائل الفنية والمعيارية لمنطق فلسفتهم . فاذا كان سارتر يقول : « مما لا شك فيه ان الموضوعات توحى بالاسلوب لكنها لا تأمر به . ليست هناك أسس محددة قبلها خارج الفن الادبي » ، الا اننا نراه - رغم هذا - يخضع الجمالية والفنية المعيارية للاخلاقية .. « ان الجمالية والفن بيدوان لسارتر كوسيلة يتعمل بها الكاتب كل يجابه وجها لوجه قضايا زمنه ، ولكنه مع ذلك لا ينكرها ، غير انه يخلها في المحل الثاني : ان اللذة الجمالية في النشر ليست صافية الا اذا جاءت بالاضافة . لنكتب اولاً بنية ان نقول شيئاً للاحياء ، ولا يضيرنا الا يبقى لاحفادنا الذين يحسون بقيمة الحوادث الراهنة الا الاعجاب باسلوبنا . ولكن لا يحسن بنا ان نتوخى الاسلوب لذاته ، ان المسؤولية والصدفة يأتیان اولاً والاسلوب والجمالية في المحل الثاني » .. ( 2 ) وقد عبر كامو عن هذا بصيغة أخرى : « الاسلوب العظيم ليس صفة شكلية محضة .. الخلق الحقيقي هو ... خلق ثوري » .. وقد ذكر سارتر ان فنية الكاتب تستمشى مع موقف الكاتب الفلسفي « ان التكتيك الروائي يرتد الى ميتافيزيقا الروائي » .. وقد حاولت سيمون ان تحافظ للفن على ما فيه من جمالية فنانات بان يختفي الهدف خلف هذه الجمالية : « يجب ان يختجب الهدف جيداً والا فلا يمكن للعملية السحرية هذه التي هي الافتتان الروائي ان تتم » .. ( 3 )

لكن لماذا اصلاً يوجد الفن ؟ يرى سارتر ان الفنان يكتب ليقول شيئاً ويؤكد علاقته بالناس « فأحد دوافع الخلق الفني هو بالتأكيد حاجة الشعور من أننا جوهريون في علاقتنا مع العالم » .. وقد ردد كامو هذه النغمة باسلوبه الخاص : « الخلق الفني هو مطلب للوحدة ، ورفض للعالم لكنه رفض العالم على أساس ما ينقصه » ..

وفي الحقيقة ، لقد استحال علم الجمال على أيدي الوجوديين الى مناداة ودعوة ومطلب ، أكثر مما استحال الى دراسة وبحث وتقصي .. وهم قد اقاموا احكامهم في فلسفة الفن على ما يؤكده وبفرضه مذهبهم الخاص بدل الاستناد الى واقع الفن نفسه . ومن هنا نرى صمدق القضية التي دائماً تتكرر على شتى مراحل التاريخ في الدراسة الجمالية عند الفلاسفة من ان « كل نظرية جمالية كانت تعكس .. صورة عن حدود المذهب وضيق آفاقه » . لاننا رأينا ان « عزل القيم داخل ذاتية الفرد

( 1 ) مجاهد عبد المنعم مجاهد : موتى اضعوا قلوبهم ص ٦٣

( 2 ) عن البيريس : سارتر والوجودية ص ١٥٣

( 3 ) سيمون دي بوفوار : الادب والميتافيزيقا ص ٢٧

( 1 ) مجاهد عبد المنعم مجاهد : مشكلة الاخلاق عند سارتر

( ٥ ) فولكييه (بول) : هذه هي الوجودية ( ترجمة : محممة عيتاني )

دار بيروت - بيروت - ١٩٥٦

(٦) مجاهد عبد المنعم مجاهد : مشكلة الاخلاق عند سارتر .  
بحث لم ينشر بعد .

(٧) مجاهد عبد المنعم مجاهد : موتى اضاعوا قبورهم .

مجلة الاداب - مايو - ١٩٥٧

(٨) مصطفى سوييف : الاسس النفسية للابداع الفني وفي الشعر خاصة

دار المعارف - القاهرة - ١٩٥١

فيه اغفال للناحية الحياتية .. وان سارتر ليلزم الاديبي في فنه ان يرتبط بقضايا اجتماعية ، اما ما هي هذه القضايا فيترك الامر لحرية الفرد التي تتعالى وتتخطى ذاتها (١) .. ومن هنا نرى في نطاق علم الجمال عند الوجوديين ان هناك ثورة فلسفية حيث لا ثورة ، او حيث لا يوجد تفصيل عقل مقنع في الدعاوى الفكرية والنواحي الفنية على السواء !!

\*

## المراجع

(9) Blockham : Six Existentialist Thinkers

(10) Murdoch, I : Sartre : Romantic Rationalist

(11) Peyre, H. : Contemporary French Novel

(12) Sartre, Y. P. : Being Nothingness

(13) Sartre, Y.P. : Existentialism Humanism

(14) Sartre, Y.P. : Literary Philosophical Essays

(15) Sartre, Y.P. : What Is Literature

(١) اليريس ( ر.م. ) : سارتر والوجودية ( ترجمة : سهيل ادريس )

دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٥٤

(٢) آلن ( ا.ل. ) : وجودية من الداخل ( ترجمة : مجاهد عبد المنعم

مجاهد ) مجلة الاداب - اكتوبر ١٩٥٦

(٣) بوفوار ( سيمون دي ) : الادب والميثافيزيقا ( ترجمة : اسعد

العربي ) مجلة الاداب - ديسمبر ١٩٥٤

(٤) عبد الرحمن بدوي : هل يمكن قيام اخلاق وجودية ؟

النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٥٢

مجاهد عبد المنعم مجاهد

(١) مجاهد عبد المنعم مجاهد : مشكلة الاخلاق عند سارتر

# أنا وسارتر والحياة ...

صدر حديثا :

بقلم الكاتبة الوجودية الشهيرة

سيمون دو بوفوار

ترجمة عائدة مطرجي ادريس

في هذا الكتاب الرائع تروي لنا الكاتبة الوجودية الكبيرة سيمون دوبوفوار قصتها مع الرجل الذي كان شريك حياتها ، من غير ان يكون زوجها ، جان بول سارتر . وهي من خلال ذلك تقص تلك المغامرة التي اذت الى انتصارها : كيف اصبحت كاتبة الى جانبه ، وكيف كانا وما يزالان يواجهان الحياة . انها قصة عجيبة ، هذه التي تسردها هنا سيمون دوبوفوار لانها قصة عاطفة فذة قلما ربطت كائنين فوق هذه الارض يمثل هذا الرباط : رباط الحب الواعي الذي يوثقه تفاهم روحي وفكري ليس له في عمقه وصميميته مثيل . فبالرغم من ان سارتر يحب هنا ، كائنات اخرى ، من مثل « كميل » و « اولفا » فان ما يشده الى سيمون دوبوفوار اعماق من ان تؤثر فيه اية علاقة خارجية وان ما يشدها اليه اوثق من ان توهنه الغيرة .. صحيح انها تغار ، وتعب عن ذلك في صفحات رائعة ، ولكن السعادة التي خلقها لقاؤها بسارتر منذ اللحظة الاولى ستظل ترفرف على حياتها مادامت على قيد الحياة . وهي واثقة كل الثقة من انها « لن ياتيها اية مصيبة من سارتر الا اذا مات قبلها .. » قصة رائعة ، عميقة ، مرهفة ، نابضة بالحياة ..

منشورات دار الاداب

التمن { ليرات لبنانية او ما يعادلها